## المقالة الذاتية /الأدبية / الإبداعية

## غادة السمان ص 99

النّصّ: من يعيد توابيتنا الى الوطن؟(نص إبداعي أصيل).

...وتقول لها وداعًا بنبرةِ من يقول "أحبُّك".

وفي المسافة بين ليالي جرحها، ونهارات انهيارها، تتسلّل هاربًا منها، أميرة الحزن تلك، بيروت. تستقبلك الغربة بحرارة صفعة، وتضمك الى صدرها المفروش بالمسامير، وتطوف بك بين المباهج المفخخة، ثمّ تدعك تستقرّ في وكرك الهادئ بين أسنان منشار التّشرّد...

فتتساءل بحسرة : مَن يعيد تابوتي إلى بيروت؟

تغادرها، فتطاردها!..

الذين عاقروا بيروت وحبّها، يعرفون أنّها ستقطنهم لحظة يكفون عن الإقامة فيها...

استيقظُ صباحًا في محطّة النسيان ورأسي سبُّورة ممسوحة، فيمرُّ بي قطار أميرة الحزن مغسولاً بأمطار دامعة، وعبر النّوافذ تحدّق بي وجوه الذين أحببتهم هناك، والذين كرهتهم أو توهّمت ذلك...أمدُّ يدي لألامس ملامحهم نصف المنسيّة، الاموات منهم والأحياء،...وقبل أن أنادي أحد أحبّائي المقتولين، أو أردُ على تلويحة آخر بيده المقطوعة في انفجار، يمضي القطار...يذوب في الضباب الأوروبي الصّباحيّ...

أمشي في الطرقات، فتطلع علي بيروت من المفارق...ويقصني الشّوق على حدّ منجل الذّكريات...

حينما تعشق حبيبًا فاتكًا، تهرب بما تبقى منك وتستبدله بآخر...وحينما تعشق الذّهب ويهجرك، تستبدل به الماس...

ولكن، ماذا تفعل حين تعشق وطنًا؟ ماذا تستبدل به وليس ثمّة ما يُدعى ب"وطن آخر"؟ وللإنسان ألف حبيبة، ووطن واحد....

مع أميرة الحزن عبثًا ننسى...نسقط في المسافة بين مرمى قصف الذاكرة والذّهول...

وتلوكنا الغربة بأسنانها الجهنمية...مع حب أميرة الحزن تقول لناصحك: أرجوك ألاّ تحاول إصلاحي!...

أحبّ...

كلّ ما يحدث هنا، يردنا إلى هناك...

في المترو يرفض أحدهم إخراج بطاقته الشخصية لأحد رجال البوليس. في التلفزيون وعلى صفحات الصحف يدور نقاش طويل: هل يحق للبوليس الاطلاع على البطاقة الشخصية لأيّ راكب في المترو لضرورات اعتقال بعض الملاحقين؟...

تتذكر معي بأسى كم وكم من الحواجز المعلومة والمجهولة أوقفتك في بيروت، وطلبت (بطاقتك الشخصية) وشجرة العائلة ودفتر مذكراتك وأشرطة تسجيل دماغك...

تتذكر كم من الحواجز تتابعت على جثة عشرة أعوام من عمرك، وأنت مُذل ومهان، والكل يدّعي أنّه يفعل ذلك لأجل كرامتك ورخائك!..

ما جدوى أن تتحرّك في مترو باريس، وقلبك ما زال مُعلّقا ينزف على شجرة في (حرش)بيروت؟...

رغم كل ما كان وما سيكون،

تظل أميرة الحزن تحتلك...وحين تجلس مساء أمام التلفزيون في وكر غربتك تتمزق لأنّ أحدًا لم يعد يذكر اسم بيروت...أميرة الحزن والحرية...

كأنّما نسيتْها الدّنيا، ولكنّها تهبّ في أعماقك حارة كالرياح الاستوائية...

وتتساءل بغصّة: هل خرجت بيروت عن خارطة العالم، وبقيت منقوشة كالوشم فوق خارطة قلبك؟

باريس 12-11-84

غادة السّمّان

* الهدف: تعدُّد المقالات في مقالة واحدة.(البحث عن أنواع المقالة الذاتية).
* في هذا النص تعددت المقالات في مقالة واحدة ابداعية، فنحن نجد المقالة الوجدانية حيث تقف غادة السمان عند حدود التعبير عن مشاعرها وحزنها بعد أن غادرت بيروت، فالغربة شلت حركتها وتفكيرها ورمت بها على أقدام بلدان بعيدة، دون رحمة تنهشها كضباع كاسرةهنا عبّرت عن وجعها وألمها وعذابها.
* الشواهد: "تقول وداعًا بنبرة من يقول :أحبك"، في المسافة بين ليالي جرحها، ونهارات انهيارها".
* وفي النص مقالة السيرة الذاتية ، فغادة السمان تروي حدثًا تاريخيًا جرى في حياتها، منذ غادرت بيروت ، حتى وصولها الى باريس والماضي سبورة محت الغربة كل ما دون عليها، فأخبار الطفولة والشباب، وجوه الأهل والرفاق، لحظات سعيدة ولحظات مؤلمة، تعلقها ببيروت وفراقها عنها مكرهة، كل هذه الصور حملها قطار الحزن وسافر بها.
* الشواهد:" استيقظ صباحا في محطة النسيان ورأسي سبورة"، "أمشي في الطرقات"..(حضور الكاتبة في السيرة الذاتية من خلال ضمير المتكلم).
* وفي النص مقالة تأريخية، تتجلى في رواية الكاتبة أحداث الحرب اللبنانية الأهلية ، والتي كانت سببًا مباشرًا في موت الكثيرين من الناس :أطفالًا وشبّانًا وشيوخًا..وفي هجرة الكثيرين كما حدث معها.
* الشواهد:"كم من الحواجز تتابعت على جثة عشرة أعوام من عمرك"، " وقبل أن أنادي أحد أحبّائي المقتولين، أو أردُ على تلويحة آخر بيده المقطوعة في انفجار، يمضي القطار".
* وفي النص مقالة نقدية تتجلى في حديث الكاتبة الساخر عن مواقف غريبة كانت تحدث على الحواجز في بيروت إبان فترة الحرب الأهلية ، عندما كان القتل على الهوية، وقد قارنت بين الواقع المرير في بيروت والواقع المسالم في باريس، حيث الإنسان يحترم فلا تنتهك كرامته على الحواجز، ولا تطلب منه هويته ليعرف صبيان الحرب اسمه ودينه وطائفته ومن أي منطقة هو..فالسخرية واضحة في كلامها عن البوليس في باريس الذي لا يحق له ان يطلب هويتك...ولو كان يطارد أخطر المجرمين.
* الشواهد:"كم من الحواجز المعلومة والمجهولة، ..تحكمت بأشرطة دماغك"..
* الهدف: إثبات سمات المقالة الذّاتية.
* السؤال: سمِّ نوع النصِّ الأدبيّ، واثبته بذكر ثلاث أو أربع سمات.
* الجواب: النص مقالة إبداعيّة ذاتيّة وجدانية نقدية تأريخيّة. والمقالة بحث قصير يرد في عدد قليل من الصفحات وهنا ورد في صفحة ونصف الصفحة تقريبًا وعالج موضوعًا واحدًا من جانب واحد وهو تغرُب الكاتبة غادة السمان عن بيروت إلى بلاد غريبة وتركها الوطن واصفة كل الجراح التي بقيت في قلبها لأنها غادرت مكرهة بسبب الحرب الأهلية في لبنان.وهي مقالة ذاتية إبداعية لأنه توفرت فيها السمات التالية:

1- غير قابلة للتلخيص فكل فكرة فيها تعكس حالة نفسية أو صورة خيالية، وإبداعًا موسيقيًا..

* 2- فيها مقدمة وصلب مقالة وخاتمة لكنها لا تبنى وفق تدرج بالشكل والبناء لأنها تخضع لتداعيات الخواطر والأفكار.
* 3- تكتب وفق لغة أدبية فيها الكثير من الصور الفنية والمحسنات البديعية.(علم البيان وعلم البديع) وخصائص الاسلوب الأدبي)
* ومن خصائص الاسلوب الأدبي:

1. حضور الأنا الذاتية: فقد عبرت الكاتبة عن موقف وجداني

تجاه واقع الغربة المرير، عبرت عن حزنها العميق وقلقها حيال مغادرتها وطن لم تستطع المسافات اقتلاعه من وجدانها وقلبها وذاكرتها. وطنٌ تأرجح بين حاضنٍ لأبنائه وساكنيه، ومقبرة ما استطاعت احتضان أكثرَ من رفاتهم، وهذا يظهر في استخدامها ضمير المتكلم مقرونًا بمفردات تعكس هذا الشوق والتحسر والتعبير عن غضب وسخرية وقهر وذل.

1. استخدام المفردات بمعانيها التضمينية الإيحائيّة والاسلوب غير التقريري وغير المباشر: مفردات هذا النص لم تقتصر على معانيها الحقيقية بل ذهبت الى التضمين والإيحاء، فالمنشار لم يعد تلك الآلة التي نقطع بها الأجسام بل صار منشار التشرد الذي يقطع الروح ويعذبها. والأميرة ما عادت تألقًا ومكانة عريقة، بل صارت أميرة بالحزن والقهر والهوان. والذين"عاقروا بيروت "أي عرفوها في أيام العز والفرح والسلام كما الخمرة في امسيات شعرية ولهو وفرح..، "و قطار الحزن يمرُ والرأس سبورة ممسوحة" يشير الى رغبة الكاتبة في نسيان كل الصور والوجوه والأحداث المؤلمة التي عاشتها في بيروت من قتل وتعذيب ودمار وانتهاك حريات. الى ما هنالك من كلمات حملت معاني تضمينية أبعد من معانيها الوضعية المعجمية.
2. -وظيفة الكلام فيها وجدانية إنفعالية وجمالية فنية .

-الانفعالية تظهرُ من خلال:

1. حضور الأنا الذاتية من خلال استخدام ضمير المتكلم والتأثير العاطفي الذي تَبُثُّهُ فينا الكاتبة، والعنصر الخيالي الذي يجعل من النصّ نصًا أدبيا بامتياز.

مثلا: "استيقظ (أنا) صباحًا في محطة النسيان ورأسي سبورة ممسوحة"(ففي هذا تصوير لحالتها النفسية الحزينة والمضطربة والتائهة في شوارع الغربة)(ضمير متكلم+ صورة فنية تشبيه واستعارة+ عاطفة قلق وحزن وضياع =تأثير عاطفي+ أسلوب إنشائي).

1. استخدام الكاتبة حقلًا معجميًا عاطفيًا فالكاتبة استخدمت ألفاظا تعكس عاطفتها:.أحبك،تضمك، صدرها، المباهج، عاقروا بيروت وحبها، ستقطنهم....مذل، مهان...تحتلك..
2. استخدام الأسلوب الإنشائي الذي يعبر عن مشاعر الكاتبة وأحاسيسها، دهشتها واستغرابها، قلقها وحيرتها وحزنها وشوقها إلى بيروت:"من يعيد تابوتي الى بيروت"(استفهام انكاري)، "تغادرها فتطاردها!(تعجب)،"أميرة الحزن"(نداء)، في كلامها اصرار للعودة الى بيروت ولو جثة هامدة.

-الهدف: إثبات وظيفة الكلام الجمالية التي تظهر في النص من خلال:

-1- العلاقات الإسنادية علاقة لا ملاءمة.منشار التشرد-أميرة الحزن- تلوكني الغربة.

-2- الصُور البيانية الفنيّة: (التشبيه- الكناية- الاستعارة).رأسي سبورة(تشبيه)، قطار الحزن(كناية)-تلوكني الغربة (استعارة تجسيمية)

-3-المحسنات البديعية : (الطباق والمقابلة والجناس والسجع).ليالي //نهارات(طباق)/ تغادرها//تطاردها..الأحياء:الأحباء(جناس ناقص)

- 4-الإيقاع الموسيقي الداخلي.تغادرها//تطاردها(جمل متوازنة تولّد ايقاعًا موسيقيا داخليًا في النص)حروف المد: تلوووووكني الغربة(امتداد حرف الواو امتداد لعذاب الكاتبة.(تطاااااااردها:الألف امتداد للمسافات والزمن).

ملاحظة: التكرار وحروف المد(الألف والواو والياء) والتكرار كلها تولد إيقاعًا موسيقيًا داخليًا في النص.

* دراسة بلاغية:
* السؤال: استخرج من النص صورة بيانية أو أكثر وادرس وظيفتها الفنية في السياق.
* من التشابيه الواردة في النص ندرس:

التشبيه: "رأسي سبورةٌ ممسوحة".

أركانُه:

-المُشبه:رأسي

-المشبه به:سبورة

-أداة التشبيه:محذوفة (تشبيه مؤكد) (عكسه مُرسل)

-وجه الشبه:المعلومات الممحية الممسوحة(مفصّل)(عكسه مُجمل)

-نوعه: مؤكّد مُفصّل

* وظيفة التشبيه الجمالية: إن التشبيه يخلق صورة فنية موحية في ذهن القارئ.(للحفظ)
* وظيفة التشبيه الدّلالية: شبّهت الكاتبة رأسها بسبورة ممسوحة امّحت عنها كلُّ المعلومات، لكي تقول لنا إنها منذ غادرت بيروت الى باريس، نسيت كل المشاهد والصُور والوجوه التي كانت مطبوعة في رأسها ، وذلك بهدف المبالغة في تصوير الحالة الحزينة والمضطربة التي عانت منها في عاصمة الحزن أولًا (بيروت) وفي عاصمة مفروش صدرها بالمسامير ثانيًا(باريس).
* ....................................

ومن الاستعارة ندرس:"يقصني الشوقُ"

أركانها:

المُستعار: يقصني

المستعار له:الشوق (المجرد)

المستعار منه: (من المقص المحسوس)(محذوف=استعارة مكنية)(عكسها تصريحية).

الجامع: العذاب بفعل القص الذي يتركه الشوق فينا بعيدًا عن الوطن.

نوعها: استعارة مكنية.

وظيفتها: استعارت الكاتبة لفظة"يقصني من المقص المحسوس الى الشوق المجرد وبذلك جعلت بل أعطت جسمًا لما ليس له جسم في الأصل"الشوق" لكي تبالغ في تصوير مدى العذاب الذي يصيبها بل يميتها بعيدًا عن بيروت.

.........................................

ومن الكناية ندرس:

"تستقبلك الغربة بحرارة صفعة".

وظيفتها: كنَّتِ الكاتبة أي قصدت، بعبارة "تستقبلك الغربة بحرارة صفعة" أنّ الغربة تخفي عن المغترب حزنًا يبقى يسكنه طالما عاش بعيدًا عن أحبائه وبلده وموطنه ، وأنها تضمر له العذاب لسنين طويلة فهو يبتعد فقط مكرهًا لا ينوي على اغتراب الا اذا فرض عليه، فأنت بوصولك الى البلاد الغريبة تشعر بحزن وخسارة عميقين.فالكناية تلمح بالمعنى ولا تصرح به.

.......................................

ومن المحسنات البديعية ندرس:

-الطباق من علم البديع المعنوي:

تغادرها // تطاردها. – أحياء // أموات . - ليالي// نهارات. (طباق إيجاب)

تغادرها// لا تغادرها (طباق سلب)

وظيفته الجمالية: يولد الطباق إيقاعًا موسيقيا داخليا في النص و يحسن الكلام.(للحفظ)

وظيفته الدلالية: الطباق يدل على الإختلاف والتعارض بين موقفين أو حالين...وهنا في "أحياء// أموات" دل على الناس سكان بيروت الذين تركتهم الكاتبة يعانون هول الحرب الأهلية فاختلفت أحوالهم، فمنهم من قُتل ومنهم من حالفه الحظ فبقي حيًا.

ملاحظة: المقابلة طباق مُركّب لها وظيفتا الطباق.

*مثلاً:* صبحتهم و كان اشراق و مسيتهم وكان غياب.

.................................

من المحسنات البديعية اللفظية: (تولد ايقاعًا موسيقيًا في النص وتجمل الكلام وتحسّنه) (مع ضرورة تبيان الوظيفة في السياق)(صناعة فنيّة) (وظيفة الكلام الجمالية)

الجناس: وهو تشابه لفظين بالحروف واختلافهما بالمعنى.

مثلا: أحياء- أحباء (جناس ناقص) هنا أظهرت الكاتبة التقارب بين أحبتها الأحياء والأحباء) و ولدت الإيقاع الموسيقي الداخلي.

أمثلة أخرى: شعور و شعور --- (إحساس و جمع شعر).(جناس تام)

قمر-رقم -رمق (جناس مقلوب)

بحر-حرب-رحب-حِبر-ربح-برح (جناس مقلوب)

السجع: وهو تواطؤ الجمل القصيرة بفواصل وانتهاؤها بنفس الحروف .

مثلًا: تغادرها، فتطاردها(و هو يولد إيقاع موسيقيًا داخليًا في النص).

من الجمل المتوازنة التي تولّدُ إيقاعًا موسيقيًا داخليًا في النّصّ ويخدم الصناعة الفنيّة☹(وظيفة الكلام الجمالية)

حينما تعشق حبيبًا فاتكًا، تهرب بما تبقى منك

حينما تعشق الذّهب ويهجرك، تستبدل به الماس...

تغادر (فاعل مستتر) ها

تطارد (فاعل مستتر) ها

من المتكررات في النص والتي تفيد التوكيد وتولّد الايقاع الموسيقي:

-أميرة الحزن..التي تكررت على امتداد النص، والتكرار يؤكد الفكرة ويولّد ايقاعًا موسيقيا داخليًا في النص.

والتوازن- التوازي- التّكرار ( يولّد الإيقاع الموسيقيّ الدّاخليّ).

........................

مقالة ذاتية في الوفاء

-بقطرات الدم نكتب حروفه.نستقي منه بعض القوة لنكمل المسير.تتشابك القلوب فاتحة شرايينها لتغسل بدموع الفرح عمق الجراح....